مجلة: سوسيولوجيا- الجزائر | ردمد: issn: 2602-5647
تاريخ استلام المقال: ٢٠١٩/٠٣/٢١ | تاريخ قبول النشر: ٢٠١٩/٠٦/٠٢

# فكرة التاريخ في مؤلفات المفكر الإيطالي" دانتي اليجييري

# The idea of history in the works of Italian thinker Dante Allegieri

د/الهادي عامر
جامعة زيان عاشور الجلفة
hadiameur1980@gmail.com

د/ برق الأغويني
جامعة زيان عاشور الجلفة
brague05@gmail.com

**الملخص:**

يحاول المقال رصد رؤية المفكر الايطالي "دانتي اليجييري" (١٢٦٥-١٣٢١م) وصاحب الملحمة الشعرية "الكوميديا الإلهية"، للتاريخ من خلال جملة من المؤلفات التي تركها. كما يعالج أيضا الرؤية الأسطورية للتاريخ والرؤية الأخروية النابعة من الفكر المسيحي والتي كامن شائعة في أوروبا آنذاك.

**الكلمات المفتاحية:**

دانتي أليجييري ، الكوميديا الإلهية، الملكية ، الأسطورة.

**Abstract :**

This article tries to monitor the vision of Italian thinker Dante Allegieri (1265-1321) and author of "Divine Comedy", of history through a collection of works he left. It also addresses the mythical vision of history and the esoteric vision stemming from Christian thought, which was common in Europe at the time.

**key words:**

Dante Alighieri, Divine Comedy, Royal, Myth.

في الوقت الذي كانت فيه رؤية العرب والمسلمين للتاريخ في العصور الوسطى تكشف عن مدى فهمهم له كعلم وعن مدى إدراكهم لوظيفته الحضارية في خدمة المجتمع البشري، وفي الوقت الذي كانت فيه ملامح تدوين التاريخ عند المسلمين قد بلغت ذروتها ، كانت فكرة التاريخ عند الأوربيين في تلك العصور غامضة ومبهمة وغير واضحة المعالم ، تكتنفها ضبابية الأسطورة وتعقيدات التفسير اللاهوتي له ، حتى بالنسبة لأبرز مفكري ومثقفي أوربا العصور الوسطى اللاتين، ومن بينهم شاعر إيطاليا العظيم : دانتي أليجييري .

درج دانتي على استخدام مصطلح ايستوريا istoria والمحتمل انه اتبع في ذلك المنهج الذي استعمله "هوغو سان فيكتور" واستخدمه في معناه الواسع الذي يفوق المفهوم المعياري المعروف في العصور الوسطى والذي خلفه "ايزيدور الاشبيلي". فقد ميز ايزيدور بين Historia وهي الأحداث التي حدثت في الواقع، وبين Argumenta وهي الأحداث التي قد تحدث ، وبين Fabulae وهي الأحداث التي لا يمكن أن تحدث [١]. وإنطلاقا من مفهوم ايزيدور للتاريخ يرى "هوغو سان فيكتور" أن للتاريخ مفهوما أشمل فال Historia يمكن أن تستعمل للتدليل على :" ليس فقط رواية الأعمال والصنائع الحالية بل أيضا في القصد الأول أي رواية في أي وقت"[٢].

ويبدو استخدام دانتي اليجييري للفظة Historia مرآة عاكسة لمدخل هوغو سان فيكتور الواسع وحتى انه يشتمل على رواية تواريخ الأساطير. ويوظف هذه المفردة خمس مرات في مؤلفه "الوليمة" Convivio وثلاث مرات في الكوميديا الإلهية Divina Commedia . ففي كتاب الوليمة يستعملها للإشارة إلى مستوى الحكاية الأدبي لأي قطعة أدبية [٣] كتمييز لها عن المستوى المجازي، ويستعملها للإشارة إلى التاريخ الأسطوري الوارد عند أوفييد حينما يتحدث عن القتال الذي دار بين هرقل وأنتاوس العظيم[٤]. ويشير دانتي أيضا إلى عمل أوفييد حينما يتكلم عن طاعون أيجينيا كواقعة أو تاريخ Istoria آخر[٥].

وفي مقطعين آخرين من الوليمة يتحدث دانتي عن إنيادة فرجيل وطيبة لستاسيوس بوصفهما تواريخا[٦]. وفي النشيد العاشر من المطهر يشير دانتي إلى ما تمثله صخرة الزابوري الراقص وأمامه سفينة تراجان التي تمثل العدل بوصفهما تاريخين

لحدثين مهمين[٧]. وفي الوليمة يشير دانتي إلى scritture de le romane istorie,massimamente per Tito Livio أي كتابات التاريخ الروماني، وبالخصوص كتابات تيتوس ليفيوس[٨]، وبمقارنتها بعبارة جد مشابهة لها وردت في كتاب الملكية نجد Titus Livius, gestorum Romanorum scriba egregius وتعني "تيتيوس ليفيوس مؤرخ أخباري شهير لأعمال ومآثر الرومان"[٩]. وفي الفقرتين السابقتين بالذات تبدو مفردتا istorie و gestorum وكأنهما تستخدمان لنفس المعنى. ومن الجلي أن فكرة دانتي لمفردة التاريخ قابلة للإشارة إلى الأعمال نفسها بالإضافة إلى الأخبار المكتوبة لهذه الأعمال. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل فعل دانتي مثل هوغو سان فيكتور حينما رسم تمييزا صارما بين التاريخ المقدس(الديني) والتاريخ الدينوي(العلماني) ؟[١٠] ولهذا لم يعتبر فقط تجارب اليهود والكنيسة مادة خام للتاريخ المقدس ، لكن أيضا لما كان يعتبره شعبا مختارا آخر، وهم الرومان : تواريخ داود وإينياس وأسلافهم تجري بالتوازي.

في عصر دانتي، تشابكت أيضا تواريخ الإمبراطورية الرومانية وتواريخ الكنيسة الرومانية الكاثوليكية إلى حد بعيد، رغم أن هذا الطرح ليس مرضيا على الإطلاق لمصلحة أي من المؤسستين في وقت كان الصراع بينهما على أشدّه. ودانتي نفسه بدا مهتما بفكرة عيشه في فترة أزمة شديدة لهاتين المؤسستين، عندما سلّم فقط بأنه موكل بمهمة جد خاصة وبإمكانه إنقاذ الموقف. من المحتمل أنه إعتقد بأن هذه الأزمة أعلنت نهاية الصراع الكبير بين قوى الخير والشر، وهي الأحداث الأخروية التي تنبأ بها سفر الرؤيا. على كل حال، توجد فقرات في مؤلفاته تتضمن بأن المرحلة الأخيرة من التاريخ قد بدأت في ذلك الوقت. بياتريتشي، على سبيل المثال، تخبر دانتي عن المقاعد في الوردة السماوية وكيف امتلأت من قبل ولا تنتظر سوى قليل من البشر[١١].

قام دانتي ببناء لاهوت تاريخي رائع ومبتكر. خصص فيه أيضا العديد من الصفحات الجيدة لـ istorie أو gesta أي لتاريخ و أعمال الرومان ومكانتهم المزعومة في مخطط العناية الإلهية[١٢]، لكن الأكيد أنه لم يكن مؤرخا بالمعنى الحديث، إذا كان ذلك يعني تجميع البيانات والتحقق منها، وتتبع شبكات التفاعل والمسببات، وتحليل المؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية. حتى وفق أكثر المقاييس وفرة في أيامه، والتي بواسطتها نظر إلى ملاحم فرجيل، لوكانوس وستاسيوس كأعمال

تاريخية، فإنه سيكون من المذهل إذا فحص دانتي ملحمته على ضوء هذه الإشارة. مرة أخرى كانت ملحمته شخصية وأكثر عالمية من أعمالهم. وفي نفس الوقت، إشتملت مؤلفاته الأخرى على العديد من الفقرات التاريخية وممتلئة بالتلمحيات التاريخية.

لم تكن المصادر التي زودت هذه التلمحيات واضحة دائما. فبالإضافة إلى اعتماده الثقيل على المؤلفين الكلاسيكيين وعلى الكتاب المقدس من اجل معرفته بالعالم القديم، قرأ دانتي أيضا على الأقل أجزاء من مؤلفات ليفي، وربما قليلا من ابيتومي لفلوروس Florus Epitome ومن المحتمل أيضا انه قرأ لسالوست في نسختيه المعدلتين بالفرنسية القديمة والايطالية وكذا لاوروسيوس وكتاب القديس اوغسطين "مدينة الإله" وربما Paul the Deacon وكتابه التاريخ الروماني Historia Roman. ومثل مصادره التاريخية الحديثة، لم يأت قط على ذكرهم بالاسم، وقلما حددهم بكل يقين. ومن المصادر التي لا يرقى الشك في استخدام دانتي لها: كتاب يوحنا السالسبوري John of Salisbury المعنون Policraticus، وكتاب الكنز Tresor لأستاذ دانتي برونيتو لاتيني، حولية Chronicon لمارتينو بولونو التي كانت واحدة من ترجماتها الكثيرة بالايطالية والمعدلة تحتوي على معلومات إضافية حول مدينة فلورنسا، كما استقى من الأعمال التاريخية الكثيرة لريكوبالدور من فيرارا Riccobaldo of Ferrara.

وقد جذب السجل اللاتيني دانتي أيضا لأنه جعل من يوليوس قيصر واحدا من مؤسسي مدينة فلورنسا مسقط رأس دانتي. كتب حوالي العام ١٢٠٠م، المعروف بـ Chronica de origene civitatis والذي فتن المترجمين والمدونين. والأمر غير المؤكد هو ما إذا كان دانتي قد عرف هذا الكتاب، لكنه عمد إلى ذكر القصص الأسطورية لمرات عديدة في مؤلفاته مثل أخبار القائد الهوني اتيلا أو توتيلا ( الأسماء التي غالبا يشوبها الخلط عند المؤرخين الفلورنسيين المبكرين) الذي يقدم نفسه مسالما ثم يتحايل على المدن ليستبيحها ويقتل أهلها[١٣].

كما هو متوقع، معرفة دانتي بالتاريخ الحديث الأقرب إليه إضافة إلى معرفته بالتاريخ القديم مفككة وغير دقيقة. على سبيل المثال، يذكر أحداث القرن الثالث عشر الميلادي الرئيسية في المملكة المجاورة لفرنسا على نحو غير متسق، واضعا

إستحواذ آل كابيت على منطقة البروفانس قبل منطقة نورماندي. لكن معرفته بتاريخه المعاصر له غنية جدا، إذ تمتلئ ملحمته الخالدة "الكوميديا الإلهية" بالفضائح والأحداث التي عاصرها والمشتملة على قدر كبير من الشخصيات البارزة والمهمة على جانبي الألب. كما حاز معرفة هامة حول سياسات المدن الايطالية الشمالية والبلاطات التي زارها خلال عقدين من الزمن حينما كان منفيا. وفي المهام العامة التي شغلها في مجلس المائة قبل منفاه من فلورنسا كان قد قام بسفارات عدة لمدينته، في حواضر سياسية وتجارية، وربط اتصالات ثقافية وفكرية في جميع أنحاء أوربا.

لا مجال للشك بأن النفي خارج فلورنسا الذي تعرض له دانتي قد أثّر على نفسيته، ومن ثم كانت أحكامه على عصره سلبية بشكل رئيسي. فقد قال مثلا بأن جميع المدن الايطالية كانت مليئة بالمستبدين، وأن نهر الأرنو ووادييه ليس مأهولا من البشر بل جل ساكنيه من الوحوش (فأهل أرتينا كانو كلابا، وأهل بيزا كانو ثعالبا، أما الفلورنسيون فقد كانو ذئابا). ويضيف بأن صفتي "الشجاعة والكياسة" قد إختفتا من وديان البو وأنهار الأديج منذ التمرد ضد الإمبراطور الألماني فردريك الثاني[١٤]. كما إنتقد دانتي الأباطرة الألمان المنتخبين ردولوف Rudolf وألبرت Albert بعد أن أخفقا في زيارة إيطاليا وتركاها تحت رحمة الفئات والأحزاب الكائنين بها، حتى أن الإمبراطور هنري السابع الذي جاءها لإنقاذها، لم يسلم من سهام نقده بسبب فشل محاولته. في إحدى أناشيد الكوميديا يشير دانتي بأن هذه المحاولة جاءت في فترة مبكرة، وفي أناشيد أخرى يذكر بأنها جاءت متأخرة جدا[١٥].

في ذلك الوقت كانت مدينة فلورنسا تحت سيطرة المهاجرين الذين أصبحوا أغنياء في ظرف وجيز. حتى أن البابا نفسه كان مهووسا بالعملة الذهبية للمدينة وهي المسماة بالفلورين الذهبي ويذكره دانتي في مقاطع من الكوميديا بأنه لفرط هوسه بالعملة نسي كلا من القديسين بيتر و بولس وتركزت عيناه فقط على صورة القديس يوحنا المعمدان المختومة على تلك القطعة المعدنية[١٦]. في تلميح له إلى الحرب الصليبية التي أعلنها البابا بونيفاس الثامن ضد أعدائه من عائلة كولونا المشهورة بروما، يقول دانتي بأنه كان من الأجدر لهذا البابا أن يوجه حملته الصليبية إلى السوريين (يقصد بهم المسلمين) واليهود وليس إلى المسيحيين القاطنين قرب اللاتران[١٧].

أما عن خارج إيطاليا، فلم يختلف الوضع كثيرا عن داخلها إذ سادت أيضا النزاعات والفوضى. ورأى دانتي في ملحمته معظم ملوك أوربا في جبل المطهر ممثلين بذلك لماض كان كئيبا جدا من وجهة نظره، لكنه ليس مظلما جدا بالقدر الذي كان يعيشه في حاضره. وهناك عرفوا بأنهم كانوا حكاما سيئين وأن أحفادهم كانوا أسوء منهم. يورد دانتي منهم أوتوكار Ottokar ملك بوهيميا، مع أنه وضع في مكانة دنيا في وادي الأمراء المهملين، إلا أنه في صغره كان حاكما أفضل من ولده وينسيلاوس Wenceslaus حينما كان رجلا يافعا. كذلك فيليب الثالث ملك فرنسا، مع انه أعلن خزي الزنابق الفرنسية (أي رمز الملكية) بهزيمته في المعركة، إلا أنه كان يبكي في نفس الوادي، ليس بسبب الخزي الذي تعرض له، ولكن بسبب آثام ابنه فيليب الرابع. ومن الملوك الذين حزنوا أيضا لنسلهم المنحط شارل أنجو، ملك نابولي، الذي كان ابنه شارل الثاني، وبيتر الثالث، ملك أراغون وصقلية، اللتين كانت ورثتهما على التوالي جايمس الثاني وفردريك الثالث. الإستثناء الوحيد في سلسلة الملوك هذه كان هنري الثالث، ملك إنجلترا الذي جلس منفردا بعيدا عن البقية، والذي فاقه إبنه إدوارد الأول(١٨).

لاحقا، في النشيد السادس عشر من قسم المطهر يعرف دانتي السبب الذي جعل العالم تائها ويعاني من الإنحطاط السياسي والأخلاقي. ليس العيب في النجوم بل في الشهوات الأنانية للرجال، الذين نزعوا لجام القوانين الامبراطورية، ومنذ أن إنقطع الإمبراطور عن أن يكون أداة للإرادة الإنسانية. وفسح المجال للجشع والتلهف للقوة والسلطة. أصبح الطمع الآن يحكم على الأرض ويجد أكثر أشكاله الخبيثة في الكنيسة الرومانية، التي في توقها الشديد للثروة والقوة الدنيوية ثارت ضد السلطة الزمنية العليا للإمبراطور.

روح التمرد هذه كانت واضحة أيضا بشكل خاص في الكيانات السياسية الموجودة آنذاك كالمدن والحكومات الملكية. فبالنسبة لدانتي مثلت فلورنسا بداية لهذه المعضلة، وفرنسا خاتمة لها. وقد إحتلت فلورنسا، فرنسا، الكنيسة الرومانية والإمبراطورية الرومانية مكانا مركزيا في المحطات التاريخية لدانتي، وهو يعالج تواريخهم ببعض من التفصيل. كل مرتبط بشكل وثيق، فالثلاثي الأول كانوا مضرين للعنصر الرابع وأيضا لبعضهم البعض.

فلورنسا بالنسبة لدانتي، هي بنت روما الجميلة والأكثر شهرة، لكنها أيضا أبرز مثال فاضح وتدميري من ناحية المدن المتمردة ضمن حديقة الإمبراطورية الرومانية في ايطاليا(١٩). علاوة على ذلك، فإن تأثيرها التدميري يمتد أبعد كثيرا إلى ما وراء حدود إيطاليا. الزهرة الشريرة والفلورين الذهبي، لبابل الجديدة هذه التي نشأت بسبب الشيطان، قادت العالم بأكمله إلى الضلال وإتجهت إلى إلتهام قطيع البابا الذي كان لزاما عليه أن يكون راعيه(٢٠). وجر تلهفها الخاص إلى إمتلاك الثروة والقوة عليها عقاب الحرب الحزبية وعدم الإستقرار السياسي، وإعتقد دانتي بأن هذه المدينة كونها مستعصية على سيدها الأعلى وهو الإمبراطور سيحطمها في نهاية المطاف.

يقدم دانتي تفسيرا أسطوريا ومجازيا لهذا التمرد والشقاق الحزبي. واستعمل عناصر من قصص جمعت حول أصول مدينته وتأريخها المبكر، والذي جعل والد جده العظيم المسمى "كاتشاغويدا" يشير في قسم الفردوس إلى حكايات من قبيل الإمبراطور تروجان، ومدينتي فيسول في اقليم توسكانيا وروما(٢١). هذه القصص قد إفترضت شكلا ضخما ومخططا صارما في حولية Chronica de origene civitatis . مدينة فيسول Fiesole في إنحدارها أفترض بأن تكون أول وأنبل مدينة في أوربا متميزة بمناخها الصحي وسكانها النشطين الأقوياء، أحد هؤلاء داردانوس Dardanus ، مؤسس طروادة Troy، أم روما. ثم أصبحت روما أما لفلورنسا، التي أسست –في الحقيقة وكذلك في الأسطورة– من قبل الجنود الرومانيين. قالت الأسطورة بأن قائدهم كان يوليوس قيصر وربطتهم بالمؤسسين ودام حصار مدينة فيسول مدة طويلة تكلل بالنجاح في الأخير حينما نجح في هزيمة مواطنيها الذين عاشوا فيما بعد سوية مع الرومان في الوادي المنخفض. وبعد خمسمائة سنة، دمر جيش بربري بقيادة توتيلا فلورنسا وتمكن من استعادة مدينة فيسول. فيما بعد أعيد بناء فلورنسا بمساعدة من الرومان، ودمرت فيسول، ثم اندمج سكان المدينتين مع بعضهم البعض.

قام دانتي بإقتباس تفاصيل من بعض هذه القصص، على الرغم من أنه ربما يكون قد قرأهم أو سمعهم بشكل مختلف. وعلى أي حال، قدمهم بشكل واضح جدا معادي للفيسول. فهو لم يقل بأن داردانوس جاء من الفيسول المدينة الأكثر نبلا في أوربا، لكن بالأحرى من المقاطعة الأكثر نبلا في أوربا وهي إيطاليا. ناهيك عن أنه لم يمدح الفيسول أبدا، بل جعلها رمزا

للهمجية البربرية ورمزا للنفور للإذعان لإمبراطورية روما المقدرة إلهيا. وفي رسالة معنونة بـ" في داخل الحيطان " كتبها إلى الفلورنسيين، تزامنت مع حملة هنري السابع اللوكسمبورغ، أدانهم كأكثر فروع الفيسول تعاسة وكبرابرة سيحيق بهم العقاب مرة أخرى. حتى أن جعل معلمه وصديقه القديم "برونيتو لاتيني" يفضح سكان الفيسول، بقوله: " فليجعل وحوش فيزولي من أنفسهم حصيدا يابسا، ولكنهم لن يمسوا النبات بأذى، إذا كان بعضه لا يزال ينبت في خبثهم، الذي تنبعث فيه البذرة المقدسة لأولئك الرومان الذين ظلوا هناك، حينما بني وكر لهذا الحقد الشديد"[٢٢]. مع أن برونيتو لاتيني لم يسبق له أن فعل ذلك في مؤلفه الأدبي "الكنز". ويشير الى النبلاء الرومانيين والجنود الذين بقوا في المدينة بعد نزول الفيزوليين للانضمام لهم في الموقع الجديد. يدعو برونيتو هؤلاء الفيزوليين بـ" ولكن ذلك الشعب الخبيث الناكر للجميل، الذي هبط قديما من فيزولي ولم يزل محتفظا بطبيعة الصخر والجبل"[٢٣]. لا يشير دانتي إلى الفيزوليين القدماء بل إلى الفلورنسيين الذين عاصرهم: هؤلاء الفلورنسيون من كلى الفصيلين الذين عناهم دانتي، على الرومان أن يحذروا منهم. استعمال برونيتو لمصطلح "الفيزوليين" ليس تاريخيا بل مجازيا في المقام الأول، على الرغم من أنه يربطها بأحداث تاريخية أو أسطورية.

الفقرة الوحيدة التي يستعمل فيها دانتي مصطلح الفيزوليين بمعناها الحرفي غير المجازي الكامل في النشيد السادس عشر من قسم الفردوس[٢٤]. ويورد دانتي على لسان جده كاتشاغويدا الذي عاش في فلورنسا في وقت مبكر من القرن الثاني عشر، بأن عائلة كابونساكي الفيزولية النبيلة استقرت في فلورنسا أثناء حياته. ويورد على لسانه أيضا: " ولكن السكان الذين يختلطون اليوم بالآتين من كامبي وتشيرتالدو وفيغيني كانوا في أدنى حرفييهم من دم صراح"[٢٥]. واعتقد دانتي بأن الهجرة التي كان مصدرها الريف نتجت إثر توسع الفلورنسيين، والتفرق الحزبي الناتج داخل المدينة – وليس مجرد صب الدم الفيزولي – الذي حطم هذا الانسجام والتوافق. مصطلح الفيزولي السابق الذكر، والذي تخيله دانتي، استعارة للمهاجر وكذا للمتمرد. في النشيد الخامس عشر من قسم الجحيم، استخدام اسم الفيزوليين الذي أورده دانتي على لسان برونيتو كان يشير إلى التفرق الحزبي والفئوي بين الجلفيين داخل المدينة، البيض وكذا السود، الى درجة ذهب الى القول بأن كلى الجانبين أحسا بالجوع. من الواضح هنا أن دانتي يعتبر نفسه جزء من الاصل الروماني القديم ولهذا فهو يتجنب الشقاق الحزبي ويدافع عن الصالح العام.

وجهة النظر هذه تبدو مدعومة بواسطة ملاحظة كاتشاغويدا التي تذكر بأن دانتي في منفاه، كان مسرورا لأنه كون حزبا واحدا يمثله هو فقط[٢٦]. لهذا عندما نظم دانتي الكوميديا، لم يمقت فقط الفلورنسيين الكائنين داخل أسوارها (الجلفيين السود)، بل أيضا الفلورنسيين الذين يعيشون خارج أسوارها (الجلفيين البيض والجبلنيين الذين نفي قبلهم). فعمليا في المعنى المجازي، كانوا كلهم فيزوليين. هم كانوا يمثلون في نظر دانتي روح التفكك والفرقة الحزبية والتي كانت بالنسبة له نتيجة لفتح الأراضي المحيطة. وقد استخدم دانتي نفس المغزى على المدن الايطالية الأخرى[٢٧]، وقال بأن كل ريفي قدم إلى المدينة لإثارة الحزازات المذهبية أعتبر كبطل. كما جعل الإمبراطور البيزنطي جستنيان يدين كلا من جبليي وجلفيي ايطاليا معتبرا إياهم متمردين لا همّ لهم سوى الانغماس في الصراع الفئوي بينهم بدل الالتفات إلى الصالح العام[٢٨]. هناك مصطلحات مماثلة لمفردة الفيزوليين استعملها دانتي كـ"اللومبارديين وأبناء الاسكندينافيين" ليخاطب بها حكام ايطاليا من أجل حثهم على الإذعان للإمبراطور هنري السابع. ويساوي بذلك اللومبارديين وأبناء الاسكندينافيين بالبرابرة ويقارنهم مع "بذرة الطروادين واللاتين" لأنهم يقاومون الإمبراطور الروماني[٢٩]. سواء كان ذلك الإمبراطور ألمانيا يتكلم الألمانية كبربروسا أو يتكلم الايطالية كفريدريك الثاني أو يتحدث بالفرنسية كهنري السابع، كلها أمور لا تهم مادام لا يزال رومانيا. بالتوازي مع عبارة sementa santa التي يوردها دانتي على لسان برونيتو لاتيني في النشيد الخامس عشر من قسم الجحيم وهي لافتة للنظر على وجه الخصوص[٣٠].

فيما بعد، إرتبط تاريخ مدينة فلورنسا بشكل كبير ومباشر مع مملكة فرنسا والكنيسة الرومانية أكثر من إرتباطه بالإمبراطورية الرومانية. كاتشاغويدا أخبر دانتي، بأنه توج فارسا صليبيا من قبل عم الإمبراطور بربروسا كونراد الثالث وهذا حسب ما يزعم، في زمن كانت النساء الفلورنسيات لا تضطجعن لوحدهن في أسرتهن لأن أزواجهم كانوا في تجارة في فرنسا. وفي عهد دانتي، كان الشركاء التجاريون الرئيسيون لفلورنسا من مملكة فرنسا وال أنجو الفرنسيين في نابولي. وقد كان الأمير الفرنسي، فيليب الرابع أخ شارل فالوا ، على وشك القدوم إلى فلورنسا بقواته بتحريض من البابا، في هيئة يظهر فيها كصانع للسلام، وتعاون مع الجلفيين السود لإحداث انقلاب في المدينة ليصبحوا سادتها ويحكمون على دانتي ومن معه بالنفي: " ومنها يخرج دون سلاح، سوى الرمح الذي الذي تبارز به يهوذا، وسيسدده بحذق حتى يبقر به بطن فلورنسا"[٣١].

وفي كتابه "البلاغة العامية" أشار دانتي أيضا إلى شارل فالوا كتوتيلا ثاني[٣٢]، لأن الزعيم البربري، الذي يدعوه دانتي عادة بـ"آتيلا"، صورته الحوليات الفلورنسية المبكرة كمدمر لفلورنسا من خلال الخيانة والغدر. كما إمتد التأثير المهلك لتوسع آل كابيت، الذي أورده دانتي على لسان "هيو كابيت"، إلى ما وراء فرنسا وإيطاليا. فهو يقول لدانتي في إحدى المقاطع: " لقد كنت أصلا للنبت الخبيث الذي يشيع الظلمة في أرجاء العالم المسيحي"[٣٣]. ويضيف بأن مدن الفلاندر ستأخذ بثأرها منه في أول فرصة تسنح لها. كما يشير إلى أن جشعه لتوسيع ملكه لم يعرف حدا أو نهاية بعد أن حاز " مقاطعة البروفانس وهي مهر عظيم ( في إشارة إلى زواج ملك نابولي الأول من آل أنجو وهو شارل الأول من بياتريس صاحبة البروفانس سنة ١٢٤٦م[٣٤]). عمد ابن شارل الأول المنحط وهو شارل الثاني، إلى دفع ابنته الصغيرة بياتريس للزواج من اتزو الثامن المركيز المسن لمدينة استي من اجل المال سنة ١٣٠٥م، ويذكر دانتي بأنه باع ابنته كما يبيع القراصنة الجواري[٣٥]. لكن الأسوء منهم جميعا كان فيليب الرابع، الملك الفاسد والوحشي والجشع، ولم يأت ذكره أبدا في الكوميديا. وفي الرسائل يشير دانتي إليه بالقول أنه هو من لعب دور ديمتريوس، ملك سوريا، الوارد في ١ المكابيين ٧، الذي عين ألكيموس، عدو يهوذا المكابيين ككاهن أكبر في إسرائيل[٣٦]. وفي النشيد التاسع عشر من قسم الجحيم يقوم فيليب بدور أنطيوقس الرابع الذي انحاز إلى جايسون، وكذلك انحاز فيليب الوسيم في فرنسا إلى البابا كليمنت الخامس[٣٧]. يظهر في المطهر فيليب الرابع كعملاق في الفردوس الأرضي يجر عربة رفقة أحد البغايا إلى أعماق الغابة ، وهذا التشبيه الذي وظفه دانتي هو رمز لانتقال مركز البابوية إلى مدينة أفينيون في جنوب فرنسا عند انتخاب البابا كليمنت الخامس[٣٨]. ويصور دانتي هنا جزء من تاريخ الكنيسة وارتباطها بالإمبراطورية، وما أصاب الكنيسة من الفساد حتى عهده ، وفعل ذلك بطريقة الرمز الذي استخدمه بفن عظيم. واستمد دانتي صوره من الأساطير القديمة والكتاب المقدس ومظاهر الطبيعة والإنسان ، ومزج بين هذه العناصر على اتساق وتوافق.

يعتقد دانتي أيضا أن البابا كليمنت الخامس خان كلا من الكنيسة والإمبراطورية، وخاصة إمبراطور دانتي الموعود: هنري السابع، وخوّن أعداءه من ملوك نابولي والفرنسيين[٣٩]. بعبارة مُفصلة، يعتقد دانتي أن أحد النورين العظيمتين أو

السلطتين اللتين خلقهما الله قد أطفأت الأخرى، منذ استيلاء البابا على الوظيفة الخاصة بالإمبراطور، وهي توجيه الشؤون الزمنية[٤٠]. وإذا لم يعد يسمح للإمبراطور بتأدية هذه المهمة ويظهر للبشرية طريق السعادة الدنيوية، ثم يقوم البابا باغتصاب سلطة الإمبراطور، وهو نفسه كان غير قادر على انجاز المهام المنوطة به، وهي قيادة الناس إلى السعادة الروحية، يقول دانتي في هذا المقام : " ولذلك فلتقل إنه حينما تخلط كنيسة روما بين سلطتين في ذاتها، تتردّى في الوحل وتدنس نفسها وحملها Dì oggimai che la Chiesa di Roma, per confondere in sé due reggimenti , cade nel fango , e sé brutta e la soma "[٤١].

هكذا تختلط الرؤى بين النظرة الأخروية للتاريخ وبين النظرة الأسطورية التي اعتملت في الفكر الأوروبي عامة وفي فكر دانتي خاصة، ولا يمكن أبدا بأي حال من الأحوال مقارنة نظرة الأخير للتاريخ مع نظيرتها الإسلامية في نفس الفترة. وهي تكشف بما لا يقبل الشك، التفاوت الكبير بين مفكري حضارة الإسلام ونضج رؤيتهم للتاريخ ومفكري النهضة الأوربية.

***الهوامش**

عمدنا في الهوامش إلى وضع اختصارات خاصة بأعمال "دانتي أليجييري" وهي : كتاب "الوليمة Conv" ، كتاب "الجحيم Inf." ، كتاب "المطهر Purg." ، كتاب "الفردوس Par."

(1) – أنظر :

Isidore of Seville, Etymologiae. InPatrologia latina. Edited by J.-P. Migne , 1.44.5

(٢) – أنظر :

Hugh of St. , Didascalicon: A Medieval Guide to theArts. Translated by Jerome Taylor. New York:Columbia University Press, 1961 , 6.4.

(3)– أنظر :

Dante Alighieri , Convivio , edited by Maria Simonelli, Bologna, Pàtron, 1966 , 1.1.18

(4)- أنظر : Convivio 3.3.7

(5)- أنظر : Convivio 4.27.19

(6)- أنظر : Convivio 4.25.6 , 4.26.9

(7)- أنظر :

Dante Alighieri , La Commedia secondo l'antica vulgata, edited by GiorgioPetrocchi, Società Dantesca Italiana, EdizioneNazionale, 4 vols., Milan, Mondadori, 1966–1968; Purgatorio , 10.52-71.

(8)- أنظر : Convivio 4.5.11

(9)- أنظر :

Dante Alighieri , Monarchia , edited by Bruno Nardi, in Opereminori, vol. 2, Milan-Naples, Ricciardi, 1979 , 2.3.6

(10)- أنظر :

Mazzotta , Giuseppe , Dante , the poet of the desert: history and allegory in the divine comedy , Princeton , N.J. , Princeton university press , 1979 , pp.66-67.

(11) أنظر : Par.30.131-132 ; Conv.2.14.13

(12)على سبيل الأمثلة أنظر : Conv.4.4-5 ; Mon.2 ; Par.6

(13)أنظر : Inf.12.134; 13.149 ; DVE.2.6.5.

(14)أنظر : Purg.6.124. , 14.29-54 , 16.115-117.

(15)أنظر : Purg.7.94-96 , 6.97-105 , Par.30.133-138.

(16)-أنظر: Par.16.49-69 , Inf.16.73-75 , Par.18.133-136.

(17)-أنظر : Inf.27.85-87.

(18)-أنظر: Purg.7.97-132.

(19)-أنظر : Purg.06.105

(20)-أنظر: Par.9.127-132.

(21)-أنظر : Par.15.124-126.

(22)-أنظر: Inf.15.73-78.

(23)-أنظر : Inf.15.61-63.

(24)-أنظر: Par.16.121-122.

(25)-أنظر: Par.16.49-51.

(26)-أنظر: Par.17.68-69.

(27)-أنظر: Purg.6.76-126.

(28)-أنظر : Par.6.97-108.

(29)-أنظر: Epist.5.11-12.

(30)-أنظر: Inf.15.76.

(31)-أنظر: Purg.20.73-75.

(32)-أنظر: DVE.2.6.5.

(33)-أنظر: Purg.20.43-44.

(34)-أنظر: Purg.20.61.

(35)-أنظر: Purg.20.80-81.

(36)-أنظر: Epist.11.8.

(37)-أنظر: Inf.19.85-87.

(38)-أنظر : Purg.32.158-160.

(39)-أنظر : Par.17.82.

(40)- أنظر : Purg.16.106-112.

(41)- أنظر : Purg.16.127-129.